مؤتمر التفسير الموضوعي

المحور الأول : أهمية التفسير الموضوعي في حياة الأمة

عنوان البحث : أهمية التفسير الموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة

بحث مقدم من
الدكتور : أبو بكر علي الصديق
الأستاذ المشارك في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
كلية التربية والعلوم الأساسية – قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
تلفون جوال 009715159001
فاكس : 0097167056442
ص . ب : 346 عجمان الإمارات
baker19541@hotmail.com: البريد الألكتروني :

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة القرآن، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد :

فقد أهبط الله تعالى أبانا آدم– عليه السلام– إلى هذه الأرض بعد تهيئتها وإعدادها لتكون مستقراً له ولذريته من بعده إلى يوم القيامة, وعند هبوطه جاءه خطاب تكليفي من الله تعالى ينبهه إلى حاجته الماسة في عالمه الأرضي الجديد إلى مصدر هداية يتولى إرشاده في ظلمات الحياة, فينظم له شؤونه, ويوضح له مهامه، التي تحقق مفهوم الخلافة في الأرض، فينال بذلك سعادة الدارين في الدنيا والآخرة, قال تعالى: " قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى, ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى, قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا, قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى" [1]. لذلك كان من فضل الله الرحمن الرحيم على الإنسان أنه لم يتركه في هذه الدنيا يتخبط بجهالاته، بل بعث إليه بين الحين والآخر رسولا، يدعوه إلى عبادة ربه, ويبشره وينذره في كل عصر من عصوره, حيث توافد الأنبياء تترى كل إلى قومه خاصة, حتى أتمَّ الله رسالاته ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم, ليكتمل بناء النبوة بشريعته العامة الخالدة, وكتابه المنزل من عند الله تعالى القرآن الكريم، وهو آخر الكتب السماوية، قال عليه الصلاة والسلام: " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة– قال– فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [2] .

وقد شاء الله تعالى أن يقيم على عباده الحجة فتعهد بحفظ كتابه الخاتم من أن تعبث به يد الإنسان بأي تحريف أو تبديل, أو زيادة أو نقصان, فصانه من عبث المحرفين، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه في الكتب السماوية السابقة, قال تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" [3] ، كما تمَّ نقله إلينا متواتراً، حيث هيأ الله له كل أساليب التوثيق من الحفظ في الصدور والكتابة في السطور، فقد قيض الله تعالى للقرآن منذ نزوله من يحفظه من الصحابة ومن بعدهم في الصدور وفي السطور، وبلغت عناية المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه وكتابته وحفظه وضبطه شيئا يفوق الوصف, حتى إن جميع حروف القرآن وكلماته مضبوطة محفوظة بقراءاتها المختلفة لا يزاد فيها ولا ينقص لأن هذا الكتاب ستعول عليه البشرية في أمر هدايتها إلى قيام الساعة, ولأنها ستبقى المرجع الذي تستمد منه البشرية ثوابتها, وأصولها في عقيدتها وشريعتها وسائر علومها, وبذلك يكون القرآن الكريم هو الوثيقة الإلهية الوحيدة التي سلمت من تحريف الإنسان وعبثه, ومن هنا جاء القرآن الكريم وافيا بجميع مطالب الحياة الإنسانية متضمنا كل الأسس التي اشتملت عليها الرسالات السماوية السابقة, قال تعالى: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه". [4] فالقرآن الكريم خطاب الله وكلمته إلى البشر جميعا, وقد تواترت

---

[1] - طه : 123- 126 .

[2] - صحيح البخاري : 3 /1300 ، برقم : 3341 . وصحيح مسلم : 7 / 64 ، برقم : 6099 .

[3] - الحجر : 9 .

[4] - الشورى : 13 .

النصوص الدالة على ذلك العموم في الكتاب والسنة، قال تعالى: " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا.." [1]. والقرآن بتلك الخصائص يعالج مشكلات الإنسان في شتى مرافق الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجا حكيما " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" [2] ، فلا تناقض فيه ولا اختلاف ، ولا تبديل ولا تحريف كما هو شأن الكتب السماوية السابقة، وهذا أمر شهد به كبار العلماء الذين أجروا دراسات مقارنة معمقة بين القرآن والتوراة والأناجيل فجاءت نتائج دراساتهم قا طعة بأن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي ثبتت نسبته إلى الله تعالى [3] ، ويترتب على ذلك أن يكون المرجع الوحيد للإنسانية لتستنبط منها ما تحتاجه من هدايات وتشريعات بعامة ، وتأصيل العلوم المعاصرة بخاصة .

ونظرا للحالة الراهنة التي يعيشها المسلمون اليوم، حيث اعتمدوا في مناهجهم التربوية والتعليمية على نتاج الآخرين خاصة بلاد الغرب، مما ترتب عنه آثار خطيرة خاصة في الجانب التربوي والأخلاقي والنفسي والاقتصادي وغير ذلك من الجوانب التي تمس جوهر الحياة الإسلامية، عندها ظهرت حاجة ماسّة لتأصيل العلوم المعاصرة بإرجاعها إلى القواعد والأصول التي اشتمل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية وجهود العلماء المسلمين في تلك العلوم، وكانت جامعة الشارقة سباقة لتلبية تلك الحاجة، فسارعت لعقد مؤتمر للتفسير الموضوعي الذي يشكل الأداة الفعالة لتأصيل العلوم المعاصرة .

لذلك أحببت المساهمة في هذا العمل المبارك قدر الطاقة،رغم تهيبي من اقتحام هذا الميدان الذي قلت بضاعته وندرت مصادره، ولكني استعنت بالله وقررت الكتابة في المحور الأول الذي يدور حول أهمية التفسيرالموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة ، وجاءت خطة البحث مؤلفة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على الترتيب التالي :

1- المقدمة : بينت فيها أن القرآن الكريم هو الوثيقة الإلهية الوحيدة في هذه الأرض التي سلمت من التبديل والتحريف ، لذلك تعتبر المرجع الأساس في تأصيل العلوم .
2- المبحث الأول : وتناولت فيه دور التفسير الموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة .
3- المبحث الثاني : وبينت فيه الخصائص العامة لمنهج القرآن في تأصيل العلوم .
4- المبحث الثالث : عرضت فيه نماذج لتأصيل بعض علوم معاصرة ، وهي: علم التاريخ ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد ،

---

[1] - الفرقان : 1 .

[2] - فصلت : 42 .

[3] - انظر كتاب (القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) : 10- 13 .

5 -الخاتمة : وفيها ملخص لأهم النتائج المستفادة من البحث، والتوصيات المقترحة لتفعيل دور التفسير الموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة .

المبحث الأول : دور التفسير الموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة .

فكرة المنهج : تتحدد فكرة منهج التفسير الموضوعي العام والشامل لجميع السور القرآنية باختيار موضوع محدد، طرقه القرآن، فتجمع آياته من السور، وترتب حسب نزولها، وتربط بأسباب النزول إن وجدت، ثم يتم بحثها وتحليلها، لتحديد عناصر موضوعها، ليصار إلى تقسيمه إلى ابواب وفصول، مرتبة حسب الخطة التي يقتضيها سياق الموضوع، ثم تبدأ الدراسة التحليلية للآيات لإظهار دلالاتها، وتوضيح مراميها وأهدافها ومقاصدها ، وكشف أسرارها، وعرضها بأسلوب سهل يفهمه القارئ والسامع من خلال جودة السبك، ودقة الحبك وجميل العبارة، مع المحافظة على قوة الربط بين عناصر الموضوع حتى يظهر في صورته النهائية موضوعا واحدا متكاملا، كأن آياته نزلت جملة واحدة، فهذا المنهج يجعل الدراسة القرآنية للموضوع الواحد الذي تمَّ جمع عناصره من آيات متفرقة في سور القرآن الكريم تجعل له " وحدة موضوعية متكاملة متناسقة، لاتباين فيها ولااختلاف ومن الظواهرالقرآنية الملفتة للنظر والتي تأسر القلب ظاهرة تكرارالموضوع الواحد في سور مختلفة وبأساليب متباينة " [1] .

أهمية التفسير الموضوعي في تاصيل العلوم المعاصرة :

تبين لنا من مقدمة هذا البحث أن القرآن الكريم هو المصدر الرباني الوحيد الذي لم تعبث به يد التحريف، وأنه الوثيقة الإلهية الأخيرة والوحيدة في هذه الأرض التي حملت تعاليم الله تعالى إلى عباده حتى قيام الساعة، ويترتب على ذلك أمر بالغ الأهمية وهو: تنصيب القرآن الكريم حكما وحجة ومرجعا لجميع القضايا العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، فقوله فيها قول فصل، وحكمه عليها حكم عدل ، فإذا قال فيها قولته فحقٌّ للبشرية وقتئذٍ أن تبادر إلى الاستجابة والتنفيذ رحمة بنفسها وتأمينا لمصالحها وخدمة لأبنائها، والتمرّدُ على قول القرآن وقتئذٍ جناية وتخريب، وهدم وعبث، ستكون نتيجته كارثية على مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، ومن هنا تظهر أهمية التفسير الموضوعي في تاصيل العلوم المعاصرة ، فهذا التفسير يقدم لنا رؤية القرآن لتلك العلوم من خلال الأصول التي رسخت في آياته ، وهذا أمر

---

[1] - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمود حجازي ، ص36 . دار الكتب الحديثة ، مصر .

بالغ الأهمية في مجتمعاتنا المعاصرة " وذلك لبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية، وانفتاح ميادين النظريات العلمية الحديثة، حيث لايمكن تغطيتها وإيجاد الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسيرالموضوعي للقرآن الكريم، وذلك من خلال الهدايات القرآنية وإرشادات السنة النبوية، بحيث تكون للمفسر ملكة لإدراك مقاصد القرآن الكريم في هذا الصدد، وبمنظار القرآن الكريم ينظر إلى حلّ المشكلات المستجدة، فيصل الباحث في التفسير الموضوعي من خلال تلك الهدايات إلى أدوار كاشفة ترسم لنا طريق المعرفة، وتحدّد لنا معالم تقويم كل ما استحدث من جديد، لذا لا يمكن أن نجابه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم الذي هو أسلوب التفسير الموضوعي" [1]، ومن المعلوم أن القرآن الكريم هو كتاب هداية لهذا الإنسان، لايهدف إلى توصيف العلوم وتدوينها، فهذه الوظيفة أبقاها الخالق سبحانه لعمل العقل البشري المعجز، ولكنه رغم ذلك كله تناول كثيرا من العلوم في معرض حديثه عن هداياته وإرشاداته وتوجيهاته لهذا الإنسان، فقد تحدث القرآن عن التاريخ مبينا أن الهدف من دراسته يجب أن ينصبَّ على أخذ العبر والدروس من تلك الأحداث التاريخية، ومنبها في الوقت نفسه على السنن الربانية التي تحكم ذلك التاريخ، وهو بذلك المنهج حوّل هذا العلم من مجرَّد علم سارد للأحداث –كما تنظر إليه الحضارة الحديثة اليوم– إلى علم له مقاصده التربوية التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الأفكار والقيم التي سينشأ عليها أفراد المجتمع .

وعلم النفس له في القرآن الكريم مساحة فسيحة ، فحديثه عن النفس الإنسانية جاء مفصلاً ومسهباً، وهذا أمر يتناسب تماما مع نظرة القرآن إلى هذه النفس، فهذا القرآن ما نزل من عند الله عز وجل إلا هداية لها، فتحدث القرآن عن نشأتها الأولى وعن تركيبتها وميولها ودوافعها وغرائزها وشهواتها، وعن تهذيبها وارتفاعها وهبوطها وعن إيمانها وكفرها وطاعتها ومعصيتها واستقامتها واعوجاجها ، وصحتها ومرضها وعن تطلعاتها وأشواقها وعن حبها وكرهها ..إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها مما يجعل القرآن الكريم خير معرّف بهذه النفس الإنسانية، وهذا يفتح بدوره المجال واسعاً أمام الباحثين في أغوار النفس خاصَّة عندما يعتقدون أن هذا الدين جاء من خالق هذه النفس، " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" [2] ، وهكذا درج القرآن الكريم في تناوله للعلوم عامة والكونية منها بشكل خاص كعلم الفلك وعلم الاجتماع والظواهر الطبيعية كالسحاب والمطر والنبات والجبال وغيرها من العلامات الدالة

---

[1] - محاضرات في التفسير الموضوعي : ص31 ، د. عباس عوض الله عباس ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 2007 .

[2] - الملك : 14 .

على عظمة خالقها، فالتفسير الموضوعي " يعطي مداً جديدا لانتشار تعاليم هدي القرآن، كما أنه يفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات ليحاول كل واحد منهم فهم تخصصه من خلال الهدي القرآني بصورة أعمق وأدق، فرجل الفقه يعنى بآيات التشريع والأحكام، ورجل الاقتصاد يعنى بآيات المال والانتاج والتوزيع والإنفاق، ورجل الفلك أو الفيزياء يهتم بالآيات الكونية، ورجل التربية يعتمد على آيات التوجيه والإرشاد والقصص، وهكذا يُعنى كلٌ متخصص بموضوع تخصصه ومجال اهتمامه ، ويركز عليه ويجد فيه بكل ما أوتي من علم وفق قواعد التفسير المعتبرة كما أن تتابع هذا اللون من التفسير أو الدراسة كفيل بأن يبين للناس لونا جديدا من الإعجاز يتمثل في معنى القرآن لسعة القرآن وما احتوته الموضوعات القيمة والمختلفة، مما يجعل للتفسير الموضوعي أهمية قصوى في عصرنا الحاضر" [1].

فالتفسير الموضوعي يفتح آفاقا واسعة أمام العلماء والباحثين في شتى العلوم ، ويقوم بتأصيلها ويضع الأسس والضوابط اللازمة لها، ومما يزيد هذا العلم أهمية في الوقت الحاضر – عصر العولمة – حالة الضياع والخلط والتبعية المقيتة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، التي باتت تعتمد اعتمادا كبيرا، في مناهجها التعليمية وأنظمتها التربوية على الحضارة الغربية، بكل قيمها وأبعادها الثقافية التي تتعارض مع أنظمة الإسلام معارضة تامة ، مما أدَّى إلى طمس الهوية الإسلامية، وضياع معالم شخصية الفرد المسلم المتميز بقيمه وأخلاقه وعاداته وتقاليده وفكره ومبادئه المستمدة من الإسلام ، وأهم العوامل التي ساعدت على ذلك الضياع ما يأتي :

1 – اعتماد معظم المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية في بلاد المسلمين على مناهج التعليم السائدة في بلاد الغرب، مما نتج عنه ظهور أجيال تتبنى ثقافة الغرب وأفكاره .

2 – الغزو الفكري المبرمج لعقول المسلمين، من خلال وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية فضائية وأرضية، التي تبث سمومها على مدار الساعة، مما أدى إلى زعزعة مكانة القيم والأخلاق في مجتمعات المسلمين .

3 – الدور الخطير الذي لعبه خريجو الجامعات الغربية من أبناء المسلمين، الذين تطبعوا بثقافة البلاد التي درسوا فيها، واعتمدوا الأسلوب العلماني في التربية والتعليم، مما ترتب عليه انتكاسة خطيرة، وسَّعت الهُوَّة بين المسلمين وتعاليم دينهم، وأفقدت الكثيرين منهم الثقة بكفايات الدين الإسلامي، التي تؤهله لقيادة العالم كله إلى قمة الريادة العلمية والخلقية لجميع البشر .

---

[1] - انظر كتاب (دراسات في التفسير الموضوعي : ص21 ، د. زاهر الألمعي .

لذلك كله، برزت حاجة ماسَّة، وضرورة ملحة، لتأصيل العلوم المعاصرة، لإرجاع ثقة المسلمين بدينهم، من خلال إظهار دور أصول الإسلام خاصة والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في هذا التأصيل ، فهذه المصادر اشتملت كل الأصول التي تبنى عليها العلوم الحديثة وستتضح مصداقية هذا القول من خلال تأصيل بعض العلوم المعاصرة التي يشتمل عليهاهذا البحث، ويمكن حصر أهداف التأصيل في الأمور التالية :

1 – إضفاء الصبغة الدينية على جميع العلوم، من خلال الربط الوثيق بين موضوعاتها المتعلقة بالمظاهر الكونية وبين خالقها، عملاً بقوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " .

2 – بيان أن فصل الدين عن العلم منهج خاطئ، لا يتوافق مع طبيعة الإسلام القائمة على التوأمة بين العلم والدين، بخلاف الأديان الأخرى التي خالفت حقائق العلم، ونالت من كرامة العلماء واعتدت على حياتهم .

3 – إظهار الحجة على الناس عامّة والعلماء خاصّة على أن الإسلام بمصادره الأصيلة هو الدين الوحيد الكفيل بهداية البشرية، وإمدادها بكل المعارف الحقيقية والعلوم الصحيحة الثابتة التي لا يجانبها الصواب أبدا .

4 – دحض النظريات العلمية والتربوية التي خالفت هدي الإسلام، وإثبات خطئها .

5 – الرغبة الحقيقية في التخفيف من آلام البشرية، والعمل على حلّ مشاكلها الناجمة عن تطبيق نظريات خاطئة في شتى مجالات حياة الإنسان، في السياسة والاقتصاد والتربية وعلم النفس والاجتماع وغير ذلك مما ألحق بالبشرية أضراراً رهيبة، تمثلت في شيوع الأمراض النفسية والعصبية، وانهيار الأسرة وتشتيتها، والأزمات المالية وتوابعها، والفوضى الجنسية وعواقبها،إلى غير ذلك من الأمراض الفتاكة التي جعلت حياة الإنسان سلسلة متعاقبة من الشقاء والقلق الذي أنسى الإنسان ربه فأنساه نفسه، كما قال تعالى: " ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون" [1]، وزوال ذلك البؤس عن الإنسان يتحقق باعتماد حقائق الإسلام المستمدة من أصوله الربانية باعتماد التأصيل الإسلامي للعلوم المعاصرة .

6 – إشعار المسلم بالعزة الحقيقية المستمدة من مكرمة الله تعالى، بإنزال القرآن الكريم الذي حوى في آياته أعظم الأصول، لأهم العلوم المعاصرة، التي تؤثر مباشرة في حياة الإنسان .

---

[1] - الحشر : 19 .

7 – غرس ثقة المسلم الكاملة بمصادره الدينية الأصيلة، تجنبا للشعور بالنقص والهزيمة النفسية أمام الآخرين .

8 – ربط الأجيال القادمة بمناهج علمية رائدة، مستمدة الأصول من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما يُؤَمِّن الكفاية الذاتية للأمة الإسلامية من العلوم عامة، والإنسانية منها خاصة، وعلماء الأمة في شتى مجالات العلم جاهزون لتأمين تلك المناهج .

لوازم التأصيل :

لاشك أن مهمة تأصيل العلوم المعاصرة ليست بالمهمة السهلة على الاطلاق، ولذلك تحتاج إلى العديد من اللوازم التي تجعل هذه المهمة ممكنة وناجحة، وهذه اللوزم مطلوب توفرها لدى المشتغلين بتأصيل العلوم التي تتطلب معرفة دقيقة وعميقة وواسعة في النصوص الأصولية في القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه وأصوله والحضارة الإسلامية بصفة عامة ، كما تحتاج في المقابل إلى معرفة واسعة وناقدة للعلوم المعاصرة التي يراد تأصيلها .

وأمام هذا الواقع يفترض في الباحث الذي سيُقدم على هذه المهمة، أن تتوفر فيه المعرفة بكافة العلوم المطلوبة لمهمة التأصيل من علوم الشريعة والعلوم المعاصرة ، فإن وُجِدَ ذلك العالم الموسوعي، استطاع استخراج النصوص الأصولية وما يقابلها من العلوم المعاصرة، فيُثبت منها ما يتوافق مع الأصول، ويُسقط منها ما كان مخالفا . وواقع الحال يدلُّ على صعوبة توفر مثل أولئك العلماء الجامعين لعلوم الشريعة وللعلوم المعاصرة على تعددها بكفاءات عالية .

ونظراً لهذه الصعوبة يمكن تأليف لجنة مشتركة من علماء الشريعة النابغين في دراسة الأصول من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعلماء آخرين متخصصين في العلوم المعاصرة ، ويتم التنسيق بينهم فتتداول المعلومات، وتحدد الدلالات ، وتدقق المفاهيم، وتوضع المصطلحات بحيث يؤدون مهمتهم متعاونين متكاملين ، يعملون بروح الفريق الواحد ولهدف واحد ، وعندها تُذلل الصعوبات، وتتحقق الأهداف المنشودة .

ويمكن تحديد لوازم التأصيل بما يأتي :

1 - تمكن الباحث من معرفة الأصول الأساسية للإسلام المقررة في القرآن والسنة، والوحدات الموضوعية التي تتشكل منها العلوم المعاصرة التي يراد تأصيلها .
2 - تمكن الباحث من معرفة العلوم المعاصرة معرفة واسعة، بحيث يتمكن الباحث من تحديد غاياتها، ومعرفة أوجه التناقض بينها وبين الإسلام، ومحاولة تقويمها وفق التصور الإسلامي إن أمكن .

3 - اختيار الباحث المؤهل المبدع القادر على فهم النصوص، بإتقانه اللغة العربية، والتحليل العلمي، الذي يبين أوجه التطابق أو الاختلاف بين الأصول الإسلامية وبين العلوم المعاصرة .

4 - إقامة المعامل والمختبرات، لإجراء التجارب والقياسات، التي تحتاجها بعض العلوم المعاصرة، مثل علم النفس، وعلم التربية والاجتماع والاقتصاد ... وأمثالها من العلوم التي تُشكّل التجربة عنصرا ضروريا للوصول إلى النتائج .

5 - عدم إغفال دور السنة في التفسير الموضوعي، الذي يركز على النصوص القرآنية ، وذلك لتعذُّر فهم القرآن بعيدا عن هدي السنة .

6 - علم التفسير الموضوعي هو المحورالذي تدور حوله عملية تأصيل العلوم المعاصرة، وبدونه تتعذر عملية التأصيل ، وعدم إتقانه يؤدي إلى خلل كبير في التأصيل، وخروج عن الأصول اللازمة لذلك العمل .

المبحث الثاني : الخصائص العامة لمنهج القرآن الكريم في تأصيل العلوم :

إذا تتبعنا منهج القرآن الكريم في تأصيل العلوم نلحظ الخصائص التالية :

1 - التمييز بين العلوم الثابتة والمتغيرة : فالعلوم التي تحدث عنها القرآن الكريم نوعان :

أ - علوم ثابتة : أخبرنا عنها الخالق سبحانه، فلا مجال لتغييرها، أو العبث بها, وإن فعل الإنسان ذلك عاد عبثه عليه بالضرر البالغ .

ب - وأما النوع الثاني من العلوم : فهو العلم الذي يستطيع الإنسان أن يكتسبه بمهاراته وطاقاته, وهذا النوع من العلوم عرضة للتغيير الدائم، والتطور المستمر.

أما العلوم الثابتة التي أخبرنا الله عنها ولا سبيل إلى تغييرها، فهي العلوم التي ينبغي على الإنسان أن يتعامل معها على أنها حقائق ثابتة، ويجب أن تقام حياة الإنسان على أساسها، وأن تؤصل العلوم على ثوابتها، وإن حاول الإنسان تجاوزها أو مصادمتها فإن الفساد والشقاء سيكون ثمن ذلك التغيير، فعلم العقيدة مثلا حمل لنا كل التصورات الثابتة، التي تقدم لنا تفسيرا عن صلة العبد بربه، وبجميع مظاهر الكون التي تحيط به ، وغايته من وجوده, والمصير الذي سيؤول إليه بعد الموت، وهكذا أخبرنا الكثير عن حقائق غيبية كالجن والملائكة وحقيقة الموت والبرزخ، وكذلك العبادات التي تشكل رياضات روحية تحقق التزكية للنفس التي لا تصلح إلا بها، وهي ثابتة على ممر التاريخ البشري من صلاة وزكاة وحج وصوم...والأخلاق كذلك وأصول المعاملات وغيرها .

وأما العلوم التي يتوصل إليها الإنسان من خلال تأملاته ووسائله وتفكيره وخبراته فهذا علم مطلوب، وقد حثّنا الله تعالى على التأمل والتفكير في مظاهر الكون المختلفة، التي تدلنا على عظمته وكمال قدرته، وللوصول إلى بعض أسراره، التي تؤهل الإنسان لتسخيره في مصالحه ، والإنسان كذلك من خلال تجاربه، قد يكتشف الكثير من العلوم، أو يسجل بعض النظريات العلمية, ولكن السمة البارزة في هذه العلوم أنها ليست ثابتة، فهناك الكثير من النظريات العلمية بل ما قيل عنها أنها حقائق علمية ، اكتشف بطلانها فيما بعد .

وما يهمنا من هذا الكلام أن نؤكد على حقيقة مفادها أن الإنسان عندما يتعامل مع علم مصدره الوحي، فيجب أن يصنفه في دائرة الحقائق الثابتة، التي لاتقبل التغييرأبدا، وما يتوصل الإنسان إليه من علم فهو عرضة للتغيير، لأن طاقات الإنسان العقلية والجسدية كلها محدودة ولذلك تكون علومه عرضة للتغيير.

2- العلوم الكونية شاهدة على وجود الله ووحدانيته :

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم عندما يعرض علوم الكون المختلفة السماوية والأرضية والإنسانية وغيرها، عندما يعرضها فإنه يربطها بالله تعالى باعتبارها من آثاره الدالة على عظمته وكمال قدرته، وهذه ملاحظة هامة تجب مراعاتها عند تأصيل العلوم الكونية, فلا يتصور أن يكون هناك علم يتحدث عن مصنوع من حيث العناصر والتركيب والمميزات والغايات المرجوة منه, ثم يهمل الحديث عن صانعه, فإن كان المألوف في عالم الصناعة، أن أي مكتشف أو مخترع لجهاز مّا، له الحق في تسجيل ذلك كبراءة اختراع في اسم ذلك الشخص, فلماذا يهمل الحديث عمدا عن الخالق سبحانه، عندما تدرس العلوم الطبيعية مثل الجغرافيا, والفلك, والطب وغيرها ، أوعندما يدرس علم الأحياء من الكائنات فيسند إليها التطور على أنها فعل من أفعالها ، فهي التي طورت نفسها بنفسها.

لماذا أهملت المناهج الدراسية ربط المخلوقات بخالقها؟! ألا يُعَدُّ ذلك خروجا عن الأصل في دراسة العلوم.؟ لذلك علمنا القرآن الكريم أننا عندما ندرس أو نتأمل أو نفكر بمظاهر الكون المختلفة، أن الهدف الأسمى من ذلك التفكيرهو الاستدلال على خالقها، مما يزيدنا خشوعا وحبا لهذا الإله الخالق سبحانه . ومن الآيات الكونية التي عرضها القرآن الكريم لذلك الغرض قوله

تعالى : وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " [1] .

وقال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ، وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " [2] ، وقال تعالى : " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِين ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " [3] .

3 - تكوين العقلية العلمية لدراسة مظاهر الكون بعيدا عن الخرافات والأوهام والتبعية العمياء للغير

من خصائص المنهج القرآني في دراسة مظاهر الكون المختلفة، أنه حثّ الإنسان على استخدام عقله وبذل تفكيره في تأملاته ودراساته لمظاهر الكون، ليصل إلى النتائج العلمية المرجوة، وهذا المنهج يهدف إلى تكوين العقلية العلمية، أو المنهج العقلي الذي يتيح للإنسان البحث المجرد، بعيدا عن الخرافات والتقاليد المتوارثة، التي تخالف العقل والمنطق ، فالغاية من التفكير الوصول إلى العلم الذي" يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الكون والطبيعة، أم موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة " [4] .

ومن هنا نبَّه القرآن الكريم إلى أهمية وسائل العلم التي منحها الله تعالى للإنسان، وجعلها منافذه على العالم من حوله، وهي السمع والأبصار والأفئدة، وحثه على استخدامها، فقال تعالى : "

---

[1] - الروم : 24 .

[2] - الرعد : 2- 4 .

[3] - النحل : 66-**69 .**

[4] **- العقل** والعلم في القرآن الكريم : ص147 ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ،2001 . .

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [1] .

وذمّ القرآن أبلغ الذمِّ الذين يعطلون أدوات العلم بكفرهم وتقليدهم لآبائهم، فقال تعالى : " وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ "[2] وذمَّ القرآن الذين يعطلون عقولهم ولا يعملونها في تحليل ما ورثوه عن الآباء والأجداد، فقال تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ "[3] .

المبحث الثالث : نماذج من التفسير الموضوعي في تأصيل العلوم المعاصرة وفيه :

1 -علم التاريخ 2- علم النفس 3- علم الاقتصاد

أولا : علم التاريخ :

أ -حث القرآن على دراسة علم التاريخ :

تعددت آيات القرآن الكريم التي حثت الإنسان على دراسة التاريخ دراسة متأنية ، وجاء ذلك التكليف من الله تعالى بصيغة الأمر، للسير في الأرض، والتأمل في مصائر الأمم السابقة، التي عرضها القرآن الكريم بأسلوب القصة ، سواء تعلقت تلك القصة بحياة أمة من الأمم ، أو بحياة فرد من الأفراد ، فتُذكر القصة التاريخية مبرزة الجوانب الإيجابية أو السلبية المستفادة منها، مما يؤدي إلى إثراء خبرات الأمة ، والانتفاع من مصائر الأمم والأفراد السابقين سواء كانت نهايتهم التمكين في الأرض، أو الهلاك .

قال الله تعالى : " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ " [4] . والمعنى:" قد مضت من قبلكم أحوال للأمم ، جارية على طريقة واحدة ، هى عادة الله في الخلق ، وهي أنّ قوّة الظالمين وعتّوهم على الضعفاء أمر زائل ، والعاقبة للمتّقين المحقّين "[5] .

---

[1] - النحل : 78 .
[2] - الأحقاف : 26 .
[3] - البقرة : 170 .
[4] - آل عمران : 137 .
[5] - التحرير والتنوير لبن عاشور : 4 / 97 .

وقال تعلى : " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون" [1] ، وهذه " دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين؛ وهم ناس من الناس ، وخلق من خلق الله ، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية . فسنة الله هي سنة الله في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس" [2]

ب -نظرة الإسلام إلى التاريخ :

إذا تتبعنا مفهوم كلمة التاريخ في معاجمنا اللغوية ، فإنها تعني تدوين الأحداث والأحوال التي تمر بها أمة من الأمم أو فرد من الأفراد في أوقاتها ، فمعنى قولهم: " أرّخ الكتاب: حُدِّدَ تاريخه، والحادث ونحوه : فصل تاريخه وحدد وقته ، و التاريخ : جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن مّا ويصدق على الفرد والمجتمع " [3]
وهذا المفهوم العام للتاريخ المستفاد من اللغة يحتاج إلى بيان وتفصيل حتى تتضح الرؤية وتكتمل الصورة لتحديد نظرة الإسلام إلى التاريخ .

فالإسلام له نظرته الخاصة إلى علم التاريخ التي يخالف فيها غيره من الحضارات والفلسفات المادية، التي جعلت المحرك الذي يكتب التاريخ الإنساني منطلقا من رغبة الإنسان في الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، والسيطرة والاستحواذ على الآخرين، مما يؤدي إلى تشكيل أنماط السلوك وتقرير العقائد والأفكار عند البشر، وهناك خلاف جوهري بين نظرة الإسلام إلى التاريخ وبين غيره من بقية المذاهب والحضارات المادية وهذا الخلاف يمكن حصره في أمرين رئيسين هما : "" تفسير الوقائع من ناحية ، وتقويمها من ناحية أخرى ، التفسير يتناول الدوافع والعوامل المؤثرة وطريقة تأثير هذه العوامل في مجرى الحياة البشرية ... يفسر أحوال البشر جميعا في رفعتهم وهبوطهم وإقبالهم وإدبارهم وإيمانهم وكفرهم واستقامتهم وانحرافهم بحسب ما بين الله في كتابه المنزل وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما يدخل في حسابه عالم الغيب وعالم الشهادة على سواء، والتقويم يتناول الحكم على الإنجاز البشري في أية مرحلة من مراحله بأنه خطأ أو صواب منحرف أو مستقيم رفيع أو هابط ،

---

[1] - الروم : 9- 10 .
[2] - في ظلال القرآن : 5 / 481 .
[3] - المعجم الوسيط : 1 / 13 .

فالتفسير الإسلامي للتاريخ يقول : إن هناك غاية ربانية من خلق الإنسان، هي: أن يكون خليفة في الأرض، " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" [1] ، وإن هناك شرطا ربانيا للاستخلاف " فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " [2] ، ومن ثم فإن أعمال الإنسان كلها لها معيار رباني توزن به بحسب تحقيقها لهدف الوجود الإنساني وشرطه، أو عدم تحقيقها له ، ومن ثم يحكم عليها دائما في أي وضع من الأوضاع بأنها خطأ أو صواب منحرفة أو مستقيمة " [3] .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم عندما يقسم الأمم يراعي قضية الإيمان والكفركحد فاصل بينها فهناك أمم مؤمنة وأخرى كافرة، وإن اختلفت فيما بينها في درجات القوة والضعف ، والتقدم والتخلف، قال تعالى:"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[4] .

الأهداف المستفادة من دراسة علم التاريخ :

تبين لنا مما سبق أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث التاريخية فقط ، وإنما يشمل تفسير تلك الأحداث وتقويمها وفق المباديء والقيم التي تقوم عليها التربية وتسعى إلى تحقيقها ، ومن هنا تتضح الصلة الوثيقة بين التاريخ والتربية ، لأن درس التاريخ حسب المنهجية الإسلامية هو درس في التربية ، وتتأكد هذه العلاقة بين التاريخ والتربية على ضوء تحديد الأهداف المتعلقة بدراسة التاريخ ، فهي أهداف تربوية أصيلة ، وسيتضح ذلك أثناء استعراضنا لأهم أهداف دراسة التاريخ وأهمها ما يأتي :

1 -**توضيح مصائر الأمم المنحرفة عن منهج الله عبر التاريخ** : فقد عرض علينا القرآن الكريم في عشرات المواضع، مشاهد الدمار والهلاك الذي حلّ بالأمم السابقة، نتيجة إعراضهم عن دين الله تعالى وعدم استجابتهم لرسله ،قال تعالى : " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ" [5] . وقال تعالى : " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ " [6] ، فالدمار هو النهاية الحتمية للأمم والأفراد الذين يخالفون أوامر الله وتوجيهاته وهذا المنهج لا يتخلف ولكن الاختلاف قد يكون في المدة التي تسبق التدمير.

---

[1] - البقرة : 31 .
[2] - البقرة : 38- 39 .
[3] - حول التفسير الإسلامي للتاريخ : 13- 15 بتصرف يسير .
[4] - التغابن : 2 .
[5] - الحج : 48 .
[6] - محمد : 13 .

2 -**تصحيح المعايير المعتمدة في تقويم الحضارات المادية** : من أهم الأهداف التربوية المستفادة من التاريخ، أنه يصحح لنا المعايير في تقييم الحضارات المادية، التي تميزت ببراعتها في العمارة، وتحصيل أسباب القوة، وتحقيق النجاح في القضايا العلمية والانتصارات الحربية، فهذه المعايير وحدها إن خلت من عنصر الإيمان بالله تعالى والاستجابة لشرعة لا تغني عن أصحابها شيئا، ولا تجعلهم بمنأى عن الهلاك والدمار، فتحقيق النجاح في الحياة الدنيا ليس دليلا على صلاح أصحابه وصلاح المنهج الذي يحتكمون إليه ، بل قد يكونون من شر الناس ومن جبابرة الأرض وطواغيتها ، ونجاحهم وقتئذ وتأخير هلاكهم نوع من الاستدراج لهم إلى حين، ثم تأتي النهاية الحتمية في الهلاك والدمار .

فالحضارة المادية العمرانية الهائلة التي شيدتها إرَم لم تكن مسبوقة، وقد وصفها الله تعالى بأنها: " لم يخلق مثلها في البلاد " ، والحضارة التي شيدها الفراعنة في مصر والتي لا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على عبقرية هؤلاء وأسبقيتهم في العمارة وكثير من العلوم غيرها ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، كل ذلك لم يدفع عنهم العذاب لكفرهم بالله تعالى، قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ " [1] .

وهذا قارون الذي ذهب مضرب مثل في الغنى والثراء ، والذي آتاه الله من الكنوز" ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة " ، هذا الثراء الذي فتن الناس وغير لهم معايير التقويم الحقيقية، والتي دفعت ضعفاء الإيمان ليتمنوا مثل ذلك الثراء الفاحش، الذي تمتع به قارون ، ولكن تصحيح المعايير جاء سريعا عندما خسف الله بقارون وداره فصحا الناس من غفلتهم وعادوا إلى رشدهم ، قال تعالى: " فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" [2].

إبراز جدية الحياة البشرية وخلوها من العبث :

---

[1] - الفجر : 6- 14

[2] - القصص : 76- 82 .

من الأهداف الهامة المرتبطة بدراسة التاريخ، أن يعتقد الإنسان أن خلقه في هذه الدنيا لم يكن عبثا بدون هدف يسعى إلى تحقيقه ، فالعبثية أمر مرفوض ومستبعد ، لأن هذا الكون تنتظمه سنن ربانية تحكم الحياة البشرية ، وسائر مظاهر الكون الفسيح ، وهذا يؤدي إلى الإيمان بوجود الخالق الحكيم ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء على العمل . قال تعالى : " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ [1] .

فلو كانت حياة الإنسان تنتهي بالموت، ويستوي في تلك النهاية الصالح والطالح والمحسن والمسيء والظالم والمظلوم، لكانت في غاية العبثية ، لذلك كان الإيمان باليوم الآخر ضرورة لتحقيق العدل في هذا الوجود، قال تعالى: "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار" [2] .

3 -تصفية عقائد المسلمين وتصوراتهم من الأفكار الدخيلة :

ومن أهداف دراسة التاريخ أن يُلم المسلمون بالسنن الربانية التي تنظم حركة الحياة ، وهذه السنن مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، قال تعالى : " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً " [3]، فقد أصيبت عقائد كثير من المسلمين وتصوراتهم بلوثات كثيرة تأثرا بالغزو الفكري الذي يجتاح بلاد المسلمين ، مما جعل العودة لدراسة تلك السنن من مصادرها الأصيلة أمر واجب، وتلك المصادر محفوظة من التحريف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح، الذين تعاملوا مع تلك السنن وفق المفاهيم الصحيحة بعيدا عن كل الملوثات ، " ففكرالمتواكلين الذين يضربون على صدورهم ويقولون : إن ربك رب قلوب وما دام قلبك عامرا بالإيمان فلا يهمك العمل فكر مصادم للسنن الربانية ، وفكر القاعدين الذين يقولون إن ربنا سينصرنا بنيتنا الطيبة فكر مصادم للسنن الربانية ، وإن فكر الذين يتصورون أن أعداء الإسلام .. ستحرقهم الصواعق ويتخطفهم الطير والمسلمون واقفون يتفرجون عليهم بغير عمل يعملونه ولا عدة يعدونها ...فكر مصادم للسنن الربانية" [4] .

4 -إبراز مواقف المؤمنين المشرفة عبر التاريخ للاقتداء بهم : من مقاصد دراسة التاريخ الاطلاع على حياة نخبة من أصحاب العقيدة الراسخة الذين سطروا لنا على صفحات التاريخ

---

[1] - المؤمنون : 115 .

[2] - ص : 27- 28 .

[3] - الأحزاب : 62 .

[4] - حول التفسير الإسلامي للتاريخ : 93 .

أعظم المواقف لتكون مثلا وقدوة للناس إلى قيام الساعة ، إنهم قلة ولكن رغم قلتهم في صفحات التاريخ ، ولكن أصبحوا نموذجا يحتذى في كل زمان إلى قيام الساعة ، وقد عرض علينا القرآن الكريم صورا مشرقة لصفوة مختارة ،فهؤلاء سحرة فرعون عندما لامس الإيمان شغاف قلوبهم وظهرت لهم حقيقة الألوهية يواجهون الطاغية الذي ادعى الألوهية، يواجهونه بإعلانهم عن إيمانهم بالله الواحد والتبرؤ من فرعون ، ويمضون شهداء إلى ربهم. قال تعالى : " فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ، قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ، قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " [1]

وهؤلاء أصحاب الأخدود يواجهون طاغية آخر حيث حاول فتنتهم عن دينهم ، فثبتوا وفضلوا أن يموتوا حرقا على أن يبدلوا دينهم ، وقد خلد القرآن ذكراهم في سورة البروج فقال تعالى : " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " [2]

وهؤلاء أصحاب الكهف وهناك العشرات من هذه النماذج التي عرضعا القرآن الكريم،والسيرة النبوية فقد ذكرت الكثبر من هالشخصيات الفريدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

خطوات تأصيل علم التاريخ :

يمتاز التفسير الموضوعي بأهمية بالغة في تأصيل العلوم المعاصرة، وفق منهجية خاصة يتم من خلالها تجميع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لِتُكَوِّن عناصرالموضوع ،ثم يكون ترتيبها وتحليل نصوصها واستنتاج مواضع العظة والعبرة منها، وعلم التاريخ من العلوم التي توسَّع القرآن في ذكرها وتحليلها وتحديد مواضع العبرة والعظة منها، ومن أهم خطوات تأصيل علم التاريخ ما يأتي :

1 - جمع الآيات التي تناولت علم التاريخ من قصص الأنبياء وغيرهم ، حيث تتشكل مادة التاريخ .

2 - تنظيم الآيات وترتيبها حسب وقوع أحداثها في سياق القصة القرآنية ، ويضاف إليها الحديث النبوي أو وقائع السيرة ذات الصلة بالموضوع .

---

[1] - طه : 70-73 .

[2] - البروج : 4-8 .

3 - دراسة النصوص دراسة مستفيضة من خلال التحليل والتعليل واستنتاج مواضع العبرة والعظة المستفادة من تلك الأحداث .

4 - رصد الأماكن والآثارالمشارإليها في الأحداث المذكورة لأهمية ذلك في إثباتها وتوكيدها مثل مدائن صالح، وسد مأرب...وغيرها، ومن المفيد في ذلك تصويرها وتحضيرها كمادة علمية تدرس عبر الوسائل الألكترونية التي أصبحت في متناول الجميع .

5 - تحديد معايير دقيقة مستمدة من القرآن الكريم لتقويم الحضارات المختلفة، والحكم عليها من الجوانب المادية والروحية، ومقارنتها مع الحضارة الإسلامية المؤسسة على الإيمان بالله تعالى والاستجابة لرسله .

6 - تحديد السنن الربانية التي تتحكم في مجريات حركة التاريخ البشري منذ الأزل ، وبيان كيفية عملها في واقع البشر، وهذا أمر بالغ الأهمية لثبات تلك السنن وعدم تخلفها ، مثل سنة الله في التغيير التي تجري من خلال أعمال البشر، وسنته تعالى في نصر الحق عندما توفر أسبابه وإزهاق البطل .

7 - إقامة الحجة والبرهان على أصحاب القول بالحتمية التاريخية والتفسير المادي للتاريخ السائدة في الغرب والشرق .

8 - حشد الأدلة من النصوص الشرعية والأدلة التاريخية التي تثبت أن الحضارة الإسلامية إنسانية النزعة في جناحيها المادي والروحي .

9 - دحض شبهات المستشرقين والمستغربين الذين حاولوا تشويه صورة التاريخ الإسلامي من خلال اعتمادهم على الروايات المدسوسة والضعيفة أو من تلاعبهم بتفسير الأحداث التاريخية .

10 -حصر الأسباب التي تؤدي إلى زوال الأمم كما ذكرها القرآن الكريم .

11 - تدوين أهم مظاهر الانحراف التي أصابت الأمة الإسلامية في المرحلة الراهنة للعمل على إصلاحها ، والتحذير منها من خلال مناهج التربية والتعليم، تأمينا لتنشئة أجيال جديدة تعتمد المنهج الصحيح في سائر أمورها .

12 - اعتماد طرق تعليمية حديثة في تدريس مادة التاريخ تقوم على تقييم الحضارات وفق المنهج الإسلامي، الذي يميز بينها في قضية الإيمان والكفر، وإن تفاوتت فيما بينها في المستويات المادية والعمرانية .

13 -وخير ما تختم به خطوات التأصيل لعلم التاريخ أن يرسخ في أذهان الناشئة أن الأمة الإسلامية أمة محفوظة بحفظ الله لأنها أمة الدعوة ، وأنها محتاجة حاجة ماسة إلى الالتزام بأصولها ، لتتمكن من العودة إلى مرسح التاريخ لتتبوأ مكانتها في صدارة الأمم، ولتلعب دورها الايجابي في إنقاذ البشرية والعبور بها إلى برّ الأمان .

دور السنن الإلهية في التاريخ البشري :

تعتبر السنن الإلهية من أهم العوامل المؤثرة في التاريخ ، ذلك أنها بمثابة القوانين التي نظم الله تعالى على أساسها الكثيرمن القضايا الكبرى في هذا الوجود، ومن خصائصها أنها ثابتة، ونتائجها لا تتخلف، لأنها تجري بقدر الله تعالى، مُحَرِّكة عجلة التاريخ البشري، لذلك كان لا بد من فهمها وتدبرها وكشف أسرارها، للوقوف على دورها المؤثر في صناعة التاريخ وتسجيل الأحداث الكائنة في عالم الإنسان، ومن هنا لفت القرآن الكريم أنظار الناس ليتدبروها ولينتفعوا من عبرة التاريخ، فقال تعالى: " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ [1] .

لقد بين القرآن الكريم أن العقلاء من البشر هم الذين يتدبرون عمل تلك السنن، وأن الغافلين عن تدبرها جاهلون لم يستخدموا وسائل المعرفة التي زودهم الله بها للوصول إلى الحق ، قال تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور [2] .

والسنن التي وضعها الله في هذا الوجود كثيرة، لا يمكن الإتيان عليها في هذا البحث المختصر فقد ألفت فيها رسائل علمية ضخمة [3] ولكني سأشير إلى بعضها إشارات سريعة، وأهم تلك السنن ما يأتي :

1 - عطاء الله لعباده في الدنيا للمؤمن والكافر لغرض الابتلاء. قال تعالى : " كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا [4] .

2 - ومن تلك السنن سنة التغيير (لايغير الله حال الناس إلا إذا غيروا ما بأنفسهم)

---

[1] - آل عمران : 137 .

[2] الحج : 46 .

[3] - هناك رسالة دكتوراه بعنوان السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ، ومعدها الطالب / شريف الخطيب .

[4] - الاسراء : 20 .

قال تعالى : " إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ " [1] ، وقال تعالى:" ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [2] .

3–ومن سنن الله تعالى نصر الحق وإزهاق الباطل على أيدي المؤمنين الذين أخذوا بأسباب النصر، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [3] .

5 -ومن السنن الربانية التي وضعها الله في الأرض ابتلاء المؤمنين لتمحيصهم وتدريبهم على الشدائد وقوة التحمل قبل مرحلة التمكين . قال تعالى : " أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ"[4] . وقال تعالى: " وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [5] .

6 -ومن السنن المطردة في حركة التاريخ سنة التدافع، فإذا ظهر الفساد وتفلت الناس من تعاليم الله وتمكن الطغاة من رقاب الناس، ظهرت قوة مقابلة تدفع الفساد وتنشر الفضيلة، وتقود الناس إلى دين الله تعالى، قال تعالى: " وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" [6] .

---

[1] - الرعد : 11

[2] - الأنفال : 53 .

[3] - محمد : 7 .

[4] - العنكبوت : 2-3 .

[5] - آل عمران : 140- 142 .

[6] - الحج : 40-41 .

ثانيا : تأصيل علم النفس :

عندما نستقريء مصادر الإسلام الأصيلة المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد أن علم النفس ليس بعيدا عنهما ، بل هو من صميم اهتمامهما ، فقد تناولا بالبحث كل القضايا والمسائل التي يتألف منها علم النفس المعروف، بدءا بالدوافع والغرائز والانفعالات إلى الإدراك والتفكير والتعلم والتذكر والنسيان وأبعاد الشخصية وأنماطها ، والعلاج النفسي وأساليبه إلى غير ذلك من المباحث المتعلقة بهذا العلم .

وقبل الحديث التفصيلي في هذا الموضوع، أود أن أشير إلى أن علم النفس في بلاد الغرب قد توسع في المجال التجريبي عند دراستة للأمراض النفسية والمسائل السلوكية وقضايا التعلم والتفكيروغيرها من المسائل التي يمكن قياسها ، بينما أهمل البحث في الجانب الروحي من حياة الإنسان الذي يشكل عنصرا هاما في طبيعة النفس البشرية ، وهذا الإهمال مرده إلى عدم اعتراف رواد هذا العلم من أمثال فرويد بأهمية الدين والعقيدة في حياة الإنسان، انطلاقا من نظرة العداء السافر للدين في بلاد الغرب بعد سيطرة الكنيسة واضطهادها للعلماء في القرون الوسطى ، خلافا لما هو كائن في الإسلام حيث التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي الذي يؤدي إلى استقرار النفس وتحقيق سعادتها .

وبناء على ما تقدم فإن الإسلام في مصادره الأصيلة يحتوي على كافة الأصول التي يتألف منها علم النفس الإسلامي ، ولكن تلك الأصول لابد أن يعكف عليها أهل الاختصاص في هذا الشأن، ويجمعوا مادتها من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، ثم يقسموا موضوعاتها ، ويحددوا فصولها، مع ملاحظة ضرورة الاستفادة من العلم التجريبي، خاصة في مجال التعلم والتفكير، وعندها يمكن البدء بعملية تأصيل هذا العلم النافع بإقامته على القيم والتعاليم الإسلامية الرشيدة .

ماهية النفس وطبيعتها :

من المفيد في هذا المقام أن نتعرف على حقيقة النفس كما يراها العلماء، حيث اختلفوا في تحديد ما هيتها فجاءت أقوالهم متعددة، فقد عرفها ابن سينا فقال: " النفس هوية الإنسان وهي جوهره وهي ليست جسما ولا بدنا " [1] ، وهذا التعريف رآه الغزالي كذلك [2] .

---

[1] - انظر (الفصل في الملل والنحل) لابن حزم 5/ 74 المطبعة الأدبية – 1317 ه

[2] - انظر كتاب (معارج القدس في مدارج النفس) 11- 15 .

فالنفس الإنسانية بمنظار الإسلام متعددة في مكوناتها، مختلفة في عناصرها، ولكنها متكاملة في توجهاتها وغاياتها، وأما معرفة طبيعتها فهو أمربالغ الأهمية خاصة للمتخصصين بالدراسات النفسية والمشرفين على علاج أمراضها، فالجهل بذلك يؤدي إلى اضطراب في التعرف على حقيقتها، والفشل في تحديد أدوارها وطرق علاجها، فهي مزيج من جسم وعقل وروح "" وكل أولئك معترف بوجوده، مقدرة مطالبه... فأما الجسد فهو وشائج اللحم والدم وهو النوازع الفطرية، وهو الشهوة الملحة التي لاتهدأ ولا تكف، وهو المطالب بحفظ الحياة على الأرض بالمحافظة أولا على ذاته، والمحافظة بعد ذلك على النوع ،الهدف الأول وسيلته الطعام والشراب والمسكن والكساء أيضا، والهدف الآخر وسيلته النسل والاكثار ... وأما العقل فمهمته الأولى أن يعاون الإنسان في الحصول على أفضل الطرق لإجابة النوازع الفطرية ، والتغلب على العقبات التي قد تقف في سبيل ذلك بالتدبر والتفكير... وأما الروح ... فمهمتها أن تتصل بالحقيقة الكبرى في هذا الكون، فتستلهم منها النور الذي لا تراه الحواس ، ولكنه موجود بالرغم من ذلك ، وبهذا النور العلوي تستطيع الروح أن تسمو فتعاون الكائن البشري على تحقيق هدف الحياة من الارتفاع ، والنفس البشرية تشمل أولئك جميعا ، ولا تضيق بشيء منها ، والإسلام يعترف بالكائن البشري كما هو، فيحقق رغبات جسده وعقله وروحه ، ويهدف في ذات الوقت إلى إيجاد التوازن بين الجميع [1]."

الغاية من وجودها :

من الأمور الهامة التي تنبغي معرفتها عن النفس، والتي تؤثر تأثيرا كبيرا على تفكير الإنسان وسلوكه، معرفة الغاية من وجود الإنسان، وهذه المسألة اختلفت فيها مذاهب علماء النفس، فالمؤمنون منهم يعتقدون أن الإنسان لم يخلق عبثا، وإنما خلق لغاية عظيمة حددها له الخالق " إنه خلق ليعرف الله ويعبده ويكون خليفته في أرضه، خلق ليحمل الأمانة الكبرى في هذه الحياة القصيرة، أمانة التكليف والمسؤولية فيصهره البلاء وتصقله التكاليف وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء والأبد الذي لا ينقطع " [2] ، وأما الماديون الذين تأثروا بنظرية النشوء والارتقاء لدارون، ونظرية فرويد في تفسير السلوك لدى الإنسان، فهؤلاء نظروا إليه – كما رآه دروان –على أنه مجرد حيوان من سلالة القرود، وهذا الإنسان الحيوان ليست لدية غاية في وجوده إلا تحصيل الملذات، وهذه النظرة ترتبت عليها آثار خطيرة خاصة في علم النفس الحديث ، " إنه ينظر إلى الإنسان على أنه حيوان مادي, ثم يُجرى على هذه

---

[1] - الإنسان بين المادية والإسلام : 70- 71 . بتصرف يسير .

[2] - الإيمان والحياة : 63 .

النظرة تجارب, ويقيم عليها نظريات, ولا يمكن أن نغفل الجانب الحيواني من الإنسان, ولكننا يجب ألا نغفل عن أن هذا الجانب الحيواني مجرد جانب واحد من جوانب عديدة, وتركيزنا على الجانب الحيواني من الإنسان وحده- من الناحية العلمية- خطأ, لأنه تنقصه النظرة الشمولية, التي من أجل الافتقار إليها هوجم علم النفس الإغريقي وعلم النفس المسيحي, لأن الأول: ركز على العقل وحده, ولأن الثاني: ركز على الروح وحدها, ومن الأجدر أن نهاجم بنفس المنطق- علم النفس الحديث " [1] .

منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس :

يقصد بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس إقامة هذا العلم على أساس التصور الإسلامي للإنسان على أساس مباديء الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية، بحيث تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مباديء الإسلام،أو على الأقل غير متعارضة معها " [2] .

فهذا التعريف يبين لنا الهدف من التأصيل وهو بيان آيات الله تعالى وسننه التي تحكم هذا الإنسان، ومعرفة المنهج الذي وضعه الله تعالى لتنظيم حياتة، مما يؤدي إلى حمايته من عوامل الانحراف، وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة .

ولكن مهمة التأصيل ليست بالأمر اليسير في هذة الفترة من تاريخ الأمة لأن علم النفس الحالي يهيمن عليه الفكر الغربي، الذي اعتمد المنهج التجريبي في كل دراساته ومجالات بحوثه المادية والسلوكية، وطالما أن أدوات العلم التجريبي هي الحواس ، "" فقد آمن الغربيون بكل ما تصل إليه حواسهم، وأسقطوا من حسابهم كل ما لاتستطيع أن تصل إليه، وأغلقوا منافذ المعرفة جميعا إلا هذا المنفذ الواحد دون سواه ، ساعدهم على ذلك من غير شك طبيعتهم المادية الخالصة التي ورثوها من روما القديمة ، وما تزال توجه حياتهم في كل اتجاه ، لذلك يؤمن الغربيون بكل ما يحمل خاتم التجريب ، ويأخذونه قضية مسلمة لا تحتمل الشك أو التأويل ، أما ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة ، أو على الأقل شيء ساقط من الحساب ، ولما كانت قضية الألوهية لا تدخل إلى المعمل، ولا تخضع للتجريب العلمي، فقد استغنوا عن القضية كلها وأعلنوا أن الله غير موجود " [3] .

---

[1] - الإنسان في ا؟الإسلام والإنسان المعلصر / 51- 52 بتصرف يسير .

[2] - مقال بعنوان (منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس) د. محمد عثمان نجاتي ، مجلة المسلم المعاصر ، عدد 57 – ص 21- 45 ,

[3] - الإنسان بين المادية والإسلام : 47- 48 .

هذه هي المشكلة الكبرى التي تواجه العلماء المسلمين اليوم، عندما يريدون تأصيل علم النفس الذي يحمل النظرة الغربية عن الإنسان الداروني سليل القرود، والذي لا يعيش إلا لإشباع شبقه الجنسي الذي لا ينضب كما يراه فرويد ، ولكن رغم كل الصعوبات فقد انبرى لهذه المهمة علماء أفذاذ وضعوا خططا لتأصيل هذا العلم ، وسأعمل جاهدا لاستخلاص المنهج الذي وضعوه لتأصيل علم النفس وفق الخطوات التالية :

إن القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف هما الأصلان الإسلاميان الرئيسيان اللذان يجب أن يدرسا دراسة مستفيضة لاستقصاء كل ما جاء فيهما من مفاهيم نفسية، وموضوعات تتعلق بالحياة النفسية للإنسان، وخصائص سلوكه، والعوامل التي تؤثر في شخصيته، وأسباب سعادته وشقائه، وسوائه وانحرافه، وطرق تربيته وتهذيبه، وتعديل سلوكه، ولا شك في أن دراستنا لما جاء عن هذه الموضوعات في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف سوف يمدنا بفهم صحيح للتصور الإسلامي للإنسان، وهو أمر هام جدًا في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، إذ إنه يعطينا معيارًا رئيسيًا يمكن على أساسه مراجعة موضوعات ونظريات علم النفس لمعرفة مدى اتفاقها أو عدم اتفاقها مع التصور الإسلامي للإنسان .

1- إن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجب أن يكون متمكنًا من هذا العلم تمكنًا تامًا، وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم، وتطوره التاريخي، ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التي تجرى حولها البحوث في الوقت الحاضر،

2- نظرا لاتساع ميادين علم النفس وتشعبه إلى أنواع كثيرة مثل علم النفس التربوي وعلم نفس النمو ، وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس الإكلينيكي وغيرها من الأنواع مما يجعل من الصعب على عالم واحد أن يلم بكل فروعه كان لا بد من تعيين فريق من المتخصصين في شتى أنواع علم النفس يعملون وفق خطة واضحة .

3- تكوين عدة لجان من علماء النفس ذوي الاختصاص تتولى كل منها وضع خطة مفصلة للتأصيل الإسلامي في مجال التخصص وترتيب الموضوعات حسب الأولويات ثم البدء بالتأصيل مع التنسيق الكامل بينهم وبين علماء الشريعة .

4- عرض تقارير لجان علم النفس عن الموضوعات التي تم تأصيلها على علماء الشريعة لمطابقتها مع الأصول الإسلامية ولإبداء الرأي إن كانت موافقة أم مخالفة .

5 - يتولى فريق من علماء الشريعة والتفسيرخاصة استخلاص الأصول الإسلامية المتعلقة بموضوعات علم النفس من القرآن والسنة النبوية وهذا هو مجال التفسير الموضوعي الذي

يشكل العمدة في هذا الباب وبعد استخلاصها يدققون دلالاتها وينظمون النصوص ويبوبونها حسب موضوعاتها ، فالنصوص المتعلقة بالغرائز تحدد لها وحدة خاصة، والنصوص التي تحدثت عن معالم الشخصية تحدد لها وحدتها، والنصوص التي تناولت موضوع العلاج النفسي تدرج في موضوعها ، وهكذا دواليك حتى تصنف النصوص كل نص في موضوعه ، مع الإشارة إلى أن القرآن والسنة اشتملا على جميع موضوعات علم النفس حتى الجانب التجريبي، وهذا الأمر يستدعي دوام التنسيق بين علماء القرآن وعلماء النفس، وهناك تجربة ناجحة قام بها د. محمد عثمان نجاتي في مؤلفين رائعين ضمنهما تجربة مختصرة لتأصيل علم النفس من خلال القرآن والسنة طابق فيهما بين موضوعات القرآن والسنة مع موضوعات علم النفس [1] .

6 – معرفة إسهام المفكرين المسلمين في إثراء الدراسات النفسية، ودورهم في التطور التاريخي لعلم النفس، والمصطلحات والمفاهيم التي استخدموها، وطريقتهم في التوفيق بين موضوعات علم النفس اليوناني ومبادئ الدين الإسلامي، وكيف تناولوا بعض الأفكار اليونانية بطريقة تتفق مع التصور الإسلامي للإنسان .

7 – بعد إتمام الخطوات السابقة، يصبح الطريق الآن ممهدًا لقيام علماء النفس بالتحليل النقدي لموضوعات علم النفس على ضوء مبادئ الإسلام ، ويهدف هذا التحليل النقدي إلى معرفة مواضع الاتفاق وعدم الاتفاق بين موضوعات علم النفس ومبادئ الإسلام، فأما ما يتفق مع مبادئ الإسلام فنبقي عليه، وأما ما لا يتفق معها فيخضع للدراسة بهدف تعديله أو حذفه .

8 – نظرا للسيطرة النزعة المادية على علم النفس في الغرب الذين لا يوجهون أي اهتمام إلى تأثير النواحي الروحية في سلوك الإنسان وصحته النفسية، ويغفلون تأثير الإيمان بالله تعالى في التخلص من القلق، وفي بث الشعور بالأمن والطمأنينة في النفس، ولذلك فنحن في حاجة إلى إعادة النظر في مفهوم " الشخصية السوية "، و "الصحة النفسية"، وإعادة تعريفهما تعريفًا إجرائيًا يتفق مع تصورنا الإسلامي للإنسان .

9 – لا تقتصر عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس على نقد موضوعاته ومفاهيمه بل يجب كذلك إثراء معرفتنا العلمية بإجراء بحوث جديدة في كثير من المجتمعات الإسلامية من وجهة نظر إسلامية، تهدف إلى حل مشكلات الناس الهامة من أجل تحقيق حياة أفضل لهم، والبيئة الإسلامية لاتزال بكرا أمام الباحثين النفسانيين ومن تلك المشكلات ظاهرة العنف التي تجتاح أقطارا كثيرة من بلدان المسلمين أسبابها وعلاجها ، وكذلك مشكلة البطالة وتأثيراتها النفسية .

---

[1] - انظر كتاب (القرآن وعلم النفس) وكتاب (الحديث النبوي وعلم النفس)

10 – ــ إبراز دور العقيدة الإسلامية في العلاج النفسي، والإرشاد النفسي بالتركيز على دور الإيمان في بث السكينة لدى المؤمن ،وانتزاع أسباب القلق ، وغرس الأمل وانتزاع اليأس إلى جانب الأساليب التقليدية التي يتبعها المعالجون النفسيون، ومن الممكن أن يخضع هذا النموذج الإسلامي فيما بعد للدراسة التجريبية للتحقق من أفضليته على النموذج التقليدي للعلاج النفسي [1] .

ثالثا : تأصيل علم الاقتصاد :

اهتم الإسلام بالاقتصاد اهتماما عظيما، فوجه أنظار الناس إلى نعم الله التي أسبغها عليهم مما خلق لهم في هذه الأرض، قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [2] .

وقال تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " [3] .

وتحدث عن البحار وثرواتها وعن الأرض وكنوزها ، وعن التجارة وصفقاتها ، وعن صناعة الدروع وبناء السدود إلى غير ذلك من الأمور التي تشكل بجملتها مفهوم الاقتصاد .

فهذه الأرض قدَّرالله فيها أقوات أهلها، وكفل لهم فيها أرزاقهم، فليس هناك حاجة للخوف من نضوب الأقوات، أوعدم كفايتها لأهلها، قال تعالى: " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ " [4] .

ورغم وضوح هذه الحقيقة فإن الدراسات الاقتصادية في الغرب تشكك في كفاية الأرض لأهلها، ويرون أن أكبر مشكلة تواجه اقتصاد العالم اليوم هي مشكلة الندرة، التي تعني قلة

---

[1] - ينظر في خطوات التأصيل إلى (منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس) ورقة مقدمة من د. محمد عثمان نجاتي إلى ندوة التأصيل الإسلامي لعلم النفس التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ، ص 8- 31 .

[2] - الأنعام : "141- 142 .

[3] - ابراهيم : 34 .

[4] - فصلت : 9- 10 .

الموجود وكثرة المطلوب، وهذه المقولة تدرس في المؤسسات التعليمية في بلاد المسلمين كواحدة من المسلمات في علم الاقتصاد، ومن هنا خرجت النداءات من المؤسسات الأممية تطالب دول العالم الثالث للحد من النسل لتقليص عدد السكان حتى لاتتحمل الأرض أكثر من طاقتها، ومما زاد الأمر سوءا المشكلة الاقتصادية الأخيرة، التي اجتاحت العالم، وألحقت به خسائر لاتقدرقيمتها، فهل باتت الأرض شحيحة الموارد كما يقولون وستعجز عن إطعام أبنائها ؟ وهل ذلك الشح هو الذي تسبب للعالم بكارثته الاقتصادية الحاضرة اليوم ؟ وكيف نوفق بين هذا القول وبين قول الله تعالى عن الأرض أنه قدر فيها أقواتها وبارك فيها ؟ فهل نُزعت بركة الأرض حقا ليخرج علينا علماء الاقتصاد في الغرب ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور لأن الأرض لن تستطيع في المستقبل إطعام أهلها ؟ .

وللرد على تلك الأسئلة المحيرة نفسح المجال أمام شاهد من أهلها ليكشف لنا عن مؤامرة خبيثة حيكت في ليل دامس ، مؤامرة عنصرية قذرة، كشفها أحد اللوردات الانجليز في كتابه (معضلة الرجل الأبيض) حاكها الرجل الأبيض ضد إخوانه من الملونين. يقول هذا اللورد في كتابه : " إن نسل الرجل الملون يتزايد باستمرار، نتيجة تقدم الرعاية الصحية في السنوات الأخيرة، الذي جعل نسبة الوفيات تقل عن ذي قبل ، بينما الخصوبة باقيةعلى حالها فيكون من نتيجة ذلك أن يولد فيهم مواليد كثيرون وتقل الوفيات نتيجة الرعاية الصحية ، فيتزايد عددهم باستمرار ، بينما نسل الرجل الأبيض يتناقص باستمرار نتيجة عمل المرأة وعدم رغبتها في كثرة النسل لكي لا يعطلها الأولاد عن العمل من جهة ، ولكي تحافظ على رشاقتها من جهة أخرى ،... ثم قال : " إن الرجل الأبيض يستمتع الآن بالرفاهية والسلطان بما سلب من أقوات الرجل الملون ، ولكنه يخشى إذا استمرتزايد النسل عند الرجل الملون أن يتنبه هذا الأخير لحقيقة وضع الرجل الأبيض منه ، وأنه مغتصب لأقواته فيثور عليه ويسعى إلى استرداد أقواته المسلوبة ، وعندئذ يفقد الرجل الأبيض رفاهيته التي تعوَّد أن يعيش فيها ، ومن أجل ذلك يوحي إلى الرجل الملون باستمرار أن يحدد نسله ويوهمه أن أقوات الأرض لن تكفي في المستقبل إذا استمر نسله في التزايد بمعدله الحالي... ثم قال: " إن مساحات كبيرة من الأرض قابلة للاستغلال لم تستغل بعد، وإن في البحار من المواد الغذائية مالم يستغل عشره حتى اليوم وإن الأرض بيابسها ورطبها تكفي لإعالة سكان الأرض ولو بلغوا عدة أضعاف بالنسبة لعددهم اليوم "[1] .

---

[1] - حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية : 143 .

هذه هي الحقيقة المرة التي رفعت التُهمة عن هذه الأرض المباركة، التي أطعمت من سابغ نعم الله التي أخرجها منها كل ما يدبّ عليها، وهكذا ستبقى طالما أن مشيئة الله قائمة ببقائها .

وأمام هذه الحقائق يمكن للباحث المسلم أن يتلمس الأصول التي يقوم عليها الاقتصاد في الإسلام من خلال حركة التأصيل لعلم الاقتصاد في الإسلام وذلك على الترتيب التالي :

1 - الأرض مقدَّرة الأقوات: فهذه الأرض التي باركها الله تعالى مليئة بالخيرات، وحافلة بالأقوات، فالاقتصاد فيه وفرة وليس فيه ندرة، وهذه قاعدة أصيلة وحقيقة ثابتة، تشكل منطلقا للعلماء عندما يريدون تأصيل علم الاقتصاد .

2 - المشكلة الاقتصادية ليست في كمية أقوات الأرض : إن المشكلة الحقيقية في الاقتصاد العالمي اليوم لاتكمن في ندرة الإنتاج، وإنما في الأنظمة الاقتصادية المنحرفة عن منهج الله تعالى الذي وزع الثروات بعدالة بين عباده، فعندما يأخذ بعض الناس أكثر من حقهم، ولا يؤدون الحقوق التي أوجبها الله عليهم في أموالهم تجاه الآخرين، فإن هذا يؤدي حتما إلى حدوث مشكلة، بل ومشكلات، كتلك التي نشأت عن نظام الإقطاع في أوروبا في القرون الوسطى ، أو المشكلات التي أفرزها النظام الرأسمالي الذي يسود العالم اليوم وغيرهما من الأنظمة العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة ، وتبعد الناس في واقع حياتهم عن الدين وتأثيره .

3 - المالك الحقيقي للمال هو الله والإنسان مستخلف فيه : وهذه قاعدة هامة تتعلق بتأصيل علم الاقتصاد تبين سلطة الإنسان على ماله ، فهذا المال مملوك حقيقة لله تعالى، وما سلطة الإنسان عليه إلاسلطة صورية، تحقيقا لمبدأ الابتلاء والامتحان قال تعالى : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيم "[1] ،

4 - ربط الاقتصاد بالعقيدة : من أهم خطوات تأصيل الاقتصاد الإسلامي ربط الاقتصاد بالعقيدة الإسلامية التي تجعل المؤمن يراقب الله في كل أعماله فيتقنها ، شعاره في ذلك قول الرسول الكريم عندما سئل عن الإحسان فقال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " كما أن الإيمان بالله تعالى يجعل صاحبه يراقب الله في أعماله فيحرص على تحري الحلال في كسبه وإنفاقه ، ويتجنب كل السبل التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل .

وهذا الربط أشارإليه القرآن الكريم في العديد من الآيات كما في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

---

[1] - الأنفال : 28 .

تَعْلَمُونَ ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [1] .

5- تحريم الربا خير وسيلة لتأمين الاقتصاد : يمثّل تحريم الربا في الإسلام قاعدة أصيلة في الاقتصاد الإسلامي وعلامة بارزة عند تأصيل هذا العلم لأنه يوفر عنصرا هاما لحماية الاقتصاد ، وقد هدّد الله تعالى المتعاملين به بمحق أموالهم حيث قال :" يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ "[2]. والشواهد على ذلك المحق قائمة في القديم والحديث، وما الأزمة العالمية التي تجتاح العالم اليوم إلا واحد من آثار هذا المرض الخبيث ، ولذلك اعتبره الإسلام من من كبائر لذنوب الذي توعد الله المتعاملين به بالحرب فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ " [3] .

6- الكفر والبخل من أسباب زوال النعم ودمار الاقتصاد : من السنن الربانية التي ترتبط بالاقتصاد ارتباطا وثيق،ا والتي ينكرها الماديون والعلمانيون، أن الكفر بالله والبخل من أسباب زوال النعم ودمار الاقتصاد، وهذه حقيقة أكدها القرآن في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " [4] . وقال تعالى : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " [5]

7- الدعوة إلى الاعتدال في الإنفاق والتحذير من الإسراف والترف: هذه قاعدة أخرى من القواعد التي بنى الإسلام اقتصاده عليها وهي قاعدة عريضة تمس كل فرد في الأمة وتعمل على ضبط حركة إنفاق المال ، لذلك تنبغي مراعاتها عند تأصيل علم الاقتصاد، والقرآن الكريم نبه المؤمنين على أهميتها فأوصاهم بالاعتدال في إنفاق المال وحذرهم من الإسراف والتبذير مشبها المبذر بالشيطان فقال تعالى : وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " [6] . وبين القرآن أن الترف آفة تؤدي إلى انتشار الفساد في الأرض مما يجعل المجتمع معرضا لنزول العذاب به قال تعالى: " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا " [7] .وقال تعالى: " وَكَمْ

---

[1] - الجمعة : 9- 10 .

[2] - البقرة : 276 .

[3] - البقرة : 278- 279

[4] - الأعراف : 96 .

[5] - النحل : 112

[6] - الإسراء : 26- 27 .

[7] - الإسراء : 16 .

أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ " [1] .

" إننا لو أحصينا ما تستهلكه الشهوات المحرمة, والموبقات المحظورة, والملاهي الآثمة- التي يجتنبها المؤمنون الصادقون- من الطاقات الإنسانية والمادية- لبلغت حدا هائلا يفوق ما تبتلعه الحروب المدمرة, والأوبئة الفتاكة, والكوارث المخربة, ولكن الإلف والعادة هما اللذان هونا على الناس هذه الخسائر الفادحة, التي تصاب بها الإنسانية كل يوم, بل كل ساعة. وقد نشرت الصحف أن في أمريكا 72 مليونا يتعاطون الخمور, منهم 20 مليونا يكلفون الدولة بليوني دولار كل سنة, بسبب تخلفهم عن العمل. فإذا كانت هذه مغارم الخمر وحدها, فكم تبلغ مغارم سائر الموبقات وسوء أثرها على الإنتاج ؟ [2] .

8 - إعادة تفعيل منظومة الإسلام الاقتصادية مثل: إحياء الأرض الموات، والمزارعة والمضاربة ،

9 - إحياء فريضة الزكاة في بلاد المسلمين، ودورها عظيم في تلبية حاجات المعوزين في المجتمع .

10 - محاربة كل أنواع الكسب غير المشروع مثل الرشوة والاحتكار والغش والربا والاتجار بالمحرمات مثل الخمر والمخدرات وغيرها من أصناف المحرمات .

هذه هي أهم المباديء التي يقوم عليها تأصيل علم الاقتصاد الإسلامي ، وهذا العمل يحتاج إلى جهود مضنية من علماء الشريعة خاصة المفسرون وبين علماء الاقتصاد والدور الطليعي يقع على عاتق المفسرين المكلفين بتتبع الآيات الكريمة التي يتعلق موضوعها بالاقتصاد، ثم تتم مراجعتها وتحديد مجالاتها بالتنسيق الكامل مع علماء الاقتصاد.

النتائج والتوصيات :

وبعدما إنجازهذا البحث المتواضع بعون الله تعالى يمكن استنتاج ما يأتي :

1 - أن تأصيل العلوم المعاصرة واجب شرعي حماية للأمة من الأفكار الدخيلة والعقائد الهدامة ، وحفاظا على قيمها وأخلاقها .
2 - أن القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان في عملية تأصيل العلوم المعاصرة .
3 - تأصيل العلوم المعاصرة يعود بالخير العظيم على الإنسانية كلها لأنه يحمل الحلول لمشاكلها ويصحح نظرتها إلى الإنسان والكون والحياة .
4 - أن القرآن الكريم اهتم بالتاريخ ووضع له سننا تحرك عجلة الحياة تجب مراعاتها .

---

[1] - القصص : 58- 59 .

[2] - الإيمان والحياة : 257- 258 .

5 -أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي بين حقيقة النفس الإنسانية ونشأتها وغايتها ودوافعها وعلاج أمراضها ...

6 -أن الأصول التي وضعها القرآن الكريم للاقتصاد هي المنفذ والمنقذ الوحيد لتصحيح الخلل في الاقتصاد العالمي .

وأهم التوصيات التي أوصي بها فأهمها ما يأتي :

1 -مباشرة الاستعداد للبدء بمهمة التأصيل بعد تخصيص فرق بحث من علماء الأمة لأن التأخير في التأصيل يعود بالضرر البالغ على الأمة .

2 -يمكن البدء بمهمة التأصيل على مراحل متعددة ، فتكون البداية في تأصيل مناهج التعليم بدءا بالراحل التأسيسية ثم الابتدائية فالمتوسطة وهكذا .

3 -طرح تخصصات في التعليم الجامعي والدراسات العليا في مجال التأصيل لتهيئة الكوادر المتخصصة في هذا العلم .

4 -العمل على إنشاء معامل ومختبرات الضرورية للدراسات التربوية والنفسية .

5 -التوسع في شبكة البنوك الإسلامية ، واستثمار رؤوس أموال المسلمين في البلاد الإسلامية ، وإزالة العقبات التي تحدّ من حركة نقل السلع بين البلاد الإسلامية ، والتوسع في الدراسات الاقتصادية لتأمين كوادر من أهل الخبرة والإبداع ، والاعتماد على العمالة المسلمة ، وتأمين سوق إسلامية مشتركة لتبادل السلع والخدمات بين بلاد المسلمين

مراجع البحث

1 - الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد فطب دار الشروق ط12، 1997 م

2- الإنسان في الإسلام والإنسان المعلصر د. عبد الغني عبود ، دارالفكر العربي،1978

3- الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ،ط19 ،1998

4- التحرير والتنوير لابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م .

5- الجامع الصحيح للبخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ،الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987.تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

6- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية :، محمد قطب ، دار الشروق ط2 1998 .

7- حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، محمد قطب ، دار الشروق ،ط1 2006 .

8- دراسات في التفسير الموضوعي : د. زاهر الألمعي .

9-العقل والعلم في القرآن الكريم د. يوسف القرضاوي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 2001

10- في ظلال القرآن لسيد قطب - دار الشروق ط25 - 1417- 1996 - القاهرة

11- الفصل في الملل والنحل لابن حزم ، المطبعة الأدبية – 1317 ه

12- القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس – ليبيا .

13- محاضرات في التفسير الموضوعي: د. عباس عوض الله عباس، دار الفكر، دمشق ط1، 2007

14- المعجم الوسيط : المؤلف / إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار، دارالنشر : دار الدعوة ،تحقيق / مجمع اللغة العربية

15- معارج القدس في معرفة النفس للغزالي، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1975 .